مآل الكافرين وبئس القرار وبئس المهاد ۝
يا أيها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين
لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلاة الفجر وحين
تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث
عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون
عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات
والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا
فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات
بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ۝
هذه الآيات الكريمة اشتملت على استيذان الأقارب بعضهم على بعض وما تقدم
في أول السورة فهو استيذان الأجانب بعضهم على بعض فأمر الله تعالى المؤمنين أن يستاذنهم
خدمهم مما ملكت أيمانهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم في ثلاثة أحوال الأول من قبل
صلاة الغداة لأن الناس إذ ذاك يكونون نياما في فرشهم وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة
أي في وقت القيلولة لأن الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله ومن بعد صلاة العشاء
لأنه وقت النوم فيؤمر الخدم والأطفال أن لا يهجموا على أهل البيت في هذه الأحوال
لما يخشى من أن يكون الرجل على أهله أو نحو ذلك من الأعمال ولهذا قال ثلاث عورات
لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن أي إذا دخلوا في حال غير هذه الأحوال
فلا جناح عليكم في تمكينكم إياهم من ذلك ولا عليهم إن رأوا شيئا في غير تلك الأحوال
لأنه قد أذن لهم في الهجوم ولأنهم طوافون عليكم أي في الخدمة وغير ذلك
ويغتفر في الطوافين ما لا يغتفر في غيرهم ولهذا روى الإمام مالك وأحمد
بن حنبل وأهل السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهرة قال إنها ليست بنجس إنها
من الطوافين عليكم أو الطوافات ولما كانت هذه الآية محكمة ولم تنسخ بشيء وكان
عمل الناس بها قليلا جدا أنكر ذلك عبد الله بن عباس على الناس كما قال ابن أبي حاتم
حدثنا أبو زرعة ثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة حدثني
عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس ترك الناس ثلاث آيات فلم
يعملوا بهن يا أيها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم
منكم إلى آخر الآية والآية التي في سورة النساء وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى
والمساكين

١٦٣

والمساكين فارزقوهم منه والآية التي في سورة الحجرات إن أكرمكم عند الله
أتقاكم وروي أيضا من حديث إسمعيل بن مسلم وهو ضعيف عن عمرو بن دينار عن عطاء
عن ابن عباس قال غلب الشيطان الناس على ثلاث آيات فلم يعملوا بهن يا أيها الذين
آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت أيمانكم إلى آخر الآية وقال أبو داود حدثنا
ابن الصباح وسفيان وابن عبدة وهذا حديثه انا سفيان عن عبيد الله بن أبي يزيد
سمع ابن عباس يقول لم يؤمن بها أكثر الناس آية الإذن وإني لآمر جاريتي هذه
تستاذن علي ۝ قال أبو داود وكذلك رواه عطاء عن ابن عباس يأمر به ۝ وقال
الثوري عن موسى بن أبي عائشة سألت الشعبي ليستاذنكم الذين ملكت أيمانكم
قال لم تنسخ قلت فإن الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان ۝ وقال ابن أبي حاتم
حدثنا الربيع بن سليمان ثنا ابن وهب انا سليمان بن بلال عن عمرو بن أبي عمرو
عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلين سألاه عن الاستيذان في الثلاث عورات
التي أمر الله بها في القرآن فقال ابن عباس إن الله ستير يحب الستر كان الناس ليس
لهم ستور على أبوابهم ولا حجال في بيوتهم فربما فاجأ الرجل خادمه أو ولده أو
يتيمه في حجره وهو على أهله فأمرهم الله أن يستاذنوا في تلك العورات التي سمى الله
ثم جاء الله بعد بالستور فبسط عليهم في الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الحجال
فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستيذان الذي أمروا به وهذا إسناد صحيح
إلى ابن عباس ۝ ورواه أبو داود عن القعنبي عن الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو به
وقال السدي كان أناس من الصحابة يحبون أن يواقعوا نساءهم في هذه الساعات
ليغتسلوا ثم يخرجوا إلى الصلاة فأمرهم الله أن يأمروا المملوكين والغلمان أن لا يدخلوا
عليهم في تلك الساعات إلا بإذن ۝ وقال مقاتل بن حيان بلغنا والله أعلم أن
رجلا من الأنصار وامرأته أسماء بنت مرثدة صنعا للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما فجعل
الناس يدخلون بغير إذن فقالت أسماء يا رسول الله ما أقبح هذا إنه ليدخل على المرأة
وزوجها وهما في ثوب غلامهما بغير إذن فأنزل الله في ذلك يا أيها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين
ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم الآية ۝ ومما يدل على أنها محكمة لم
تنسخ قوله كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ثم قال تعالى وإذا بلغ
الأطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم يعني إذا بلغ الأطفال الذين إنما
كانوا يستاذنون في العورات الثلاث إذا بلغوا الحلم وجب عليهم أن يستاذنوا على كل حال

Copyright ... University